البيطري فان الاطباء الذين يعالجون كثيراً من هذه الحيوانات يكتسبون في معالجتها من الخبرة بامراضها وطرق علاجها ما يفيد الطبيب في معالجة امراض الناس فتقلّ بذلك الخسارة المالية التي يخسرها الفلاحون في جميع البلدان من الامراض والاوبئة التي تفتك بحيواناتهم كالطاعون البقري والسلّ البقري والجمرة والسقارة وجدري الدجاج الى غير ذلك

رحلة الى ايران

١ يوم السفر

كنت اتوق منذ عهد الى التجوال في بلاد فارس. تلك الارض التي لها ذكرى كبيرة في تاريخ الشعوب القديمة. وكانت مهبط العيلاميين والماذيين والفرس والبرثيين الذين دوّخوا الامم. ونبغ منهم علماء وفلاسفة ومشترعون وكتبة وشعراء. ولما كان افتتاح السنة الحاضرة دعاني داعي اشغالي التجارية الى طهران عاصمة الدولة فقلت هذه هي الضالة المنشودة فتكون رحلتي زيارةً وتجارةً علماً وعملاً. وكان موعد سفر القطار الساعة الثانية زوالية من صباح اليوم الرابع من كانون الثاني (يناير) فسرت الى المحطة في الوقت المعين الاّ ان السفر تأخر لحادث غير منتظر وهو تعطيل احدى القاطرتين فلم يغادر القطار المحطة الاّ الساعة الحادية عشرة

٢ على القطار

اخذ القطار بالسير وهو بين سرعة وتؤدة وكنا نبتعد عن دار السلام ويغيب عن انظارنا جمال مبانيها وتتوارى وراء الافق مآذنها وقبب جوامعها المغشاة بالقاشاني وقبب كنائسها ونخلها وشجرها ودورها ومعاهدها وكنا نستنشق نسيم العراق الرائق ان يحمل منا تحية وسلاماً الى الديار وساكنيها. ولم نغفل عن مشارفة الاراضي التي كنا نطويها ولكن لم يستوقف بصرنا شيء جديد. فالسهول التي تمرّ بها كانت يد الشتاء الكاسحة قد جرّدتها من محاسنها وسلبتها وشاحها الزمرديّ والبستها اسلاب الموت. ولما كانت الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة و الخمسون بلغنا نهر ديالي المعروف عند اليونان باسم Dialias وقد مدّ عليه البريطانيون

جسراً على قوائم من خشب اطلقوا عليه اسم جسر مارشل نسبة الى قائد جيوش الحلة العراقية العام الذي خلف الجنرال السر ستانلي مود في هذا المنصب

وكلما قربنا من قرية من قرى ذلك الصقع كانت اشجار النخل الباسقة تنبئنا بالامر قبل بلوغنا المكان ببضعة اميال . وبعد ان عبرنا نهر ديالى مررنا ببقاع كانت عليها أمارات الخراب بادئة وعلائم الدمار ظاهرة لما انتابها من جراء الثورة التي تأججت نارها في تلك الربوع في غضون سنة ١٩٢٠ . وبعد خمس دقائق من عبورنا جسر مارشل بلغنا محطة بعقوبا

٣ قرية بعقوبا

تبعد المحطة عن القرية خمس عشرة دقيقة سيراً على الرجل . وقد زرت هذه القرية الجميلة مراراً قبل سفرتي هذه فاقول كلمة فيها . انها الى الشمال الشرقي من بغداد على ٣٠ ميلاً منها . وهي راكبة على ديالى في جانبها الغربي . ويجري في اسواقها ومحلاتها نهر خراسان الذي مأخذه من ديالى ايضاً وقد عرف عند العرب الاقدمين بنهر جولاء . وقد اشتهرت بعقوبا منذ عهد بعيد وذكرها صاحب معجم البلدان وقال انها كبيرة وتكاد تكون مدينة. وفيها فواكه وارطاب وبساتين عامرة . وطرقها واسعة لاسيما شارعها الجديد . سكانها مسلمون وفيها يهود ايضاً . وقد دخلتها الاعراب في اثناء ثورة سنة ١٩٢٠ واذوا سكانها . وعلى بعد ميل منها كان مقر المهاجرين من الآثوريين الكلدان والارمن الذين نزلوا العراق من بلاد العجم وجبال كردستان ومدينة وان وغيرها لائذين بالبريطانيين

٤ حتى صباح اليوم التالي

بعد ان وقف القطار قراب خمس وثلاثين دقيقة في تلك المحطة للتفريغ والوسق استأنف المسير وفي الساعة الثالثة والدقيقة الخمسين وصلنا الى محطة ابي جسرا . وابو جسرا قرية ورد ذكرها في كتاب معجم البلدان كان يمر بها نهر جولاء . ولم اقف في تلك الربوع على شيء يهم فآثرت النوم لما اعتراني من التعب والارق في ليلة امس. ولم استيقظ الا والشمس قد آذنت بالمغيب وشعرت بانقباض في نفسي ففتحت كوة القطار لاذهب برجاء صدري واستنشق الهواء البليل .فبانت لي من بعيد اعلام قرية ومظاهرها وبعد هنيهة بلغنا محطة شهربان.

وكان بيننا وبين البلدة مسير بضع دقائق . وكنت قد زرتها سنة ١٩١٨ فاورد شيئاً للقراء . تبعد ٥٨ ميلاً عن بغداد . يمر بها نهر يتفرع من ديالي . اهلها مسلمون وفيها قليل من اليهود . ومن اشجارها النخل والفواكه . وقد ورد ذكرها كثيراً في البرقيات الرسمية سنة ١٩٢٠ في ابان ثورة العراق الشهيرة . ومن التدابير التي كانت قد اتخذتها حكومة الاحتلال بعد اخماد الثورة بناء الحصون والمعاقل على طول الخط على ابعاد متساوية

في الساعة الخامسة سافرنا من شهربان ولم نقطع الا قيلاً من الاميال حتى وقفنا ثانية في لحف جبل حمرين قرب منصورية الجبل . وعلمنا اننا سنقضي ليلنا هناك لان القطار يخشى التوغل في ذلك الجبل في حالك الظلام من مفاجأة الطرّاق وطوارق الدهر

فنزلت بعد العشاء من القطار لأتمتع بمشاهد الطبيعة فلم أرَ الا بربرية ملتحفة بظلمة حالكة . اما منظر السماء فكان جميلاً جذّاباً يشهي الابصار ويشغف العواطف . فالكواكب الدرية بنورها الوهاج وتألقها الزجاج كانت تسبح في فضاء فلك شفاف الزرقة بديع الديباجة رقيق الحواشي . وحريّ بذلك الموقف ان يكون مقام الرهبان الزهاد او العشاق الشهاد . وما كان عظم بشري اذ شبّت نار من لجاج الظلمة وتزاءت لي ثلة من الرجال كان يصارعهم البرد فلاذوا بمعاقل الوقاد . وهم بالبسهم الفارسية وصراتهم الاعجمية . يقوم في وسطهم شاب كليل الطرف قد اثقلت كاهلهُ متاعب الحياة . وكان يحزنهُ ذكر نجاح الماضي وتهولهُ خفايا المستقبل وهو البرنس فيروز وزير خارجية ايران السابق[1] وكان معهُ جماعة من امراء بلاد فارس والسلالة المالكة وحكام الكور الفارسية نزلوا بغداد لاستقبال الامير الشاب الذي كان عائداً من سفره الى اوربا برفقة جلالة الشاه وتأخر هناك لبعض المهام

وفي هذه الليلة تعارفت برئيس ناظمية كرمانشاه المأجور صوّلت[2] الملك . والناظمية في اصطلاح الحكومة الايرانية الشحنة

(١) بعد وصول هذا البرنس الى طهران اعتقله رئيس الوزراء رهو صاحب جريدة « رعد »
(٢) تكتب الاسماء كما يكتبها الايرانيون فتقول صولت وحشمت تبعاً لاصولهم

٥ مشاهد اليوم السادس من كانون الثاني

كانت فاتحة النهار السير وما مرّ عشرون دقيقة الاّ ودخلنا نفقاً في جبل حمرين قطعناهُ في دقيقة من الزمان وعقبهُ ثان جزناهُ في خمس وعشرين ثانية وكنا نمرّ تارة بين هضبتين من الجبل وطوراً تظهر لنا ديالى بمنظرها المهيب . وهي تجود على الحزون والسهول بمياهها الغزيرة تدفعها اليها في الانهر والجداول . وكنا نعبر تلك الجداول على قناطر محكمة البناء . فانتهينا اخيراً الى محطة قزلرباط(١) ثم عدنا نقطع تلك الارجاء . وعلى ٩٥ ميلاً ونيف من بغداد شاهدنا علماً مكتوباً عليهِ بالحروف العربية والاوربية « حلوان » . وليس هنا موقع المدينة القديمة التي ذكرها المؤرخون القدماء وكان لها شهرة عظيمة في غابر الازمان . وفي الساعة الحادية والدقيقة الخامسة والعشرين صباحاً بلغنا محطة خانقين وبينها وبين بغداد ١٠٣ اميال ونيف ولم نتمكن من مشاهدة هذه البلدة لبعدها عن المحطة وهي على نهر حلوان . وقد قال ابن رسته كان هناك قنطرة ووصفها ياقوت انها مؤلفة من اربعة وعشرين طاقاً كل طاق يكون عشرين ذراعاً . وكان فيها عين للنفط عظيمة

كل ما كنت اشاهدهُ في هذه الارجاء كان يختلف عما تعوّدتهُ في دار السلام ووادي الفراتين من تكوّن ارض وملامح سكان وملابسهم وازيائهم ولغتهم . فكان المسافر المدقق يشعر انهُ بين اقليمين عربي وعجمي وانهُ في تخوم جيلين من الناس

مكثنا اكثر من ساعة في هذه المحطة فانتهزتها فرصة سانحة للتعرف ببعض المسافرين منهم البرنس نعمت الله معتصم الملك والدكتور احمدخان محمد من خريجي مدرسة باريس الطبية واخوهُ وكولونيل ايراني كان قد تربى تربية عالية في البلاد الروسية . فدار البحث بيننا عن احوال الحرب والدول الاوربية وحكومة ايران واحوالها الداخلية وتجارتها . فرأيت منهم من العصبية الوطنية والنزوع الى صيانة استقلال ايران ما لم اكن اتوقعهُ من القوم

(١) ان لاسترنج في كتابه الانكليزي المعنون « اراضي الخلافة الشرقية » يجعل موقع مدينة حلولاء التي فتحها العرب سنة ١٦ هجرية (٦٣٧ م) في تزلرباط الحديثة . ولا يجهل احد من القراء الشهرة التي حازتها هذه المدينة بانتصار العرب على الفرس وقيل ان في هذه الوقعة قتل مائة الف من الفرس

وعند الساعة الواحدة بعد الظهر تقدم القطار نحو تخوم ايران وشاهدنا على ١١٨ ميلاً من بغداد آثار بناء قديم قد أكل عليهِ الدهر وشرب ولم تزل غرفة قائمة ولكنها في حال الخراب . ويسميهِ الناس هناك « حوش كري » . ويقولون انهُ كان اصطبلاً لخيل كسرى ابروز صاحب قصر شيرين . ان طراز البناء من عقود وطاقات وحجرات يدل على ان حوش كري يرتقي الى عهد الساسانيين . وقد اصاب المرحوم المسيو ج دي مورغان في كتابهِ عن بلاد فارس في ان هذا البناء لم يكن اصطبلاً بل انهُ كان قصراً منيفاً وفيهِ روضة غناء . وقد رسم الاثري الفرنساوي الموماً اليهِ شكل حوش كري في عهد عمارتهِ مستنداً في عملهِ هذا الى الآثار الباقية منهُ . ويرجح ان مشيدهُ كان احد ابناء كسرى ابروز او احد النبلاء . ويكفن اليوم بقايا هذا الصرح قوم من الرعاة والفلاحين .

لم يتمكن القطار من قطع هذه الارجاء بسرعة لما كان قد حدث في السكة من الخلل بسبب هطل الامطار لاسيما وان قبيل سفرنا كانت بعض المركبات قد حادت عن السكة فانقلبت بالمسافرين . ومما لا بد من التنويه بهِ ان السكة كلها من اعمال الحملة العراقية البريطانية مدتها لشؤونها العسكرية كنقل الجيوش والمعدات الحربية الى تخوم ايران

وفي الساعة الرابعة من مساء ذلك النهار بلغنا محطة طوروق وهي النقطة الاخيرة للركاب المدنيين اما رجال العسكرية فيتقدمون على القطار ثلاثة اميال اخرى حتى قراتو وهناك منتهى الخط . وفي طوروق يمكس (جمرك) التخوم بين العراق وايران يرأسهُ احد الضباط البريطانيين . فنزلتُ من القطار مع جميع المدنيين . ولكن مما يصعب على النازل في تلك الديار عدم وجود مثوى لمبيت المسافرين ومما يزيد الطين بلةً ان لا سيارة ولا مركبة ولا دابة في تلك المحطة لنقلهم الى قراتو . فوقعت في حيرة الا ان رئيس المكس المستر فوكس قدم اليّ خيمة للمبيت فشكرتهُ واعربت لهُ عن رغبتي في الذهاب الى قراتو سعياً حيث كانت سيارتي في انتظاري كما سيجيء

بغداد يوسف رزق الله غنيمه